حالة المعرفة الإجتماعية والسوسيولوجية في العالم العربي

الدكتور رميتة أحمد

في البداية لابد من الإشارة إلى صعوبة تقديم تغطية شاملة وعرض كامل للأدبيات والأبحاث والإنتاج العلمي والفكري للمعرفة الاجتماعية في حدود هذه الورقة لأن تاريخ الإنتاج المعرفي في الميدان الاجتماعي وخاصة السوسيولوجيا الحديثة والمعاصرة يمتد على فترة تاريخية تقترب من الثمانين سنة إذ يكاد يجمع معظم المؤرخين للسوسيولجيا العربية بأن كتاب **نقولا حداد** (علم الاجتماع، الصادر علم 1924 [1]).

ربما يكون أول عمل يحمل هذا العنوان في المكتبة العربية، توالت بعد ذلك الكتابات المتعددة والمختلفة وكذلك الترجمات من اللغات الأخرى الأوربية وخاصة الفرنسية والإنجليزية والألمانية.

من المعروف بأن كل مجال علمي يبنى تباعاً، فتاريخه ليس مجرد تطور أفكار ونظريات فهو يتطلب تقنيات وطرق بحث وأشكال بناء لموضوع وأماكن تعلم ونقلاً وممارسة كما يتطلب أفرادا متشاركين في شبكات عمل وتبادل وتقييم، بين الفاعلين الإجتماعيين أنفسهم من جهة وبينهم وبين المجتمع الذي يعيشون ويعملون فيه من جهة أخرى والواقع أنه لا يمكن فهم الموقف الحالي لعلم الإجتماع، وحالة المعرفة الاجتماعية في العالم العربي إلا بالعودة إلى الجذور، ومن هنا فإن معالجة قضية السوسيولجيا في العالم العربي وطرح السؤال الذي أشتغلت عليه مجموعة لا بأس بها من علماء الاجتماع العرب والمتعلق بمسألة وجود سوسيولوجية خاصة بالعالم العربي، يتطلب من البداية أن نلاحظ أن نشأة علم الاجتماع في العالم العربي لم تكن إستجابة لحاجات ثقافية أو مجتمعية ولكن نقلاً لنضم نظرية وأكاديمية ظهرت بالأصل خارج المجتمعات العربية. وإنعكس هذا على التعدد في المفاهيم الأولية من مثل: العالم

العربي أو الوطن العربي، المجتمع العربي أو المجتمعات العربية... كما شغلت مسالة السوسيولوجيا والمعرفة الاجتماعية بالعالم العربي قضية أخرى تدور حول السؤال عن هل يمكن إعتبار المعرفة الاجتماعية الحديثة والمعاصرة إمتداد للنموذج المعرفي الخلدوني أم أن مرجعيتها المعرفية والنظرية والإبستمولوجية هي العلوم الاجتماعية الحديثة الأوروبية والغربية بالأساس والمنطلق.

إن التطور اللامتكافئ للسوسيولوجيا داخل الأقطار العربية [2] يعكس ويجيب بحد ذاته عن قصية ظهور أو بمعنى أدق دخول هذا النمط الجديد من المعرفة وإنتشارها بالعالم العربي والذي أرتبط بشكل لا يمكن تجاوزه في أي سرد تاريخي، بالمؤسسة الاستعمارية الكولونيالية وبأبعادها المتعددة استطان (الجزائر، فلسطين) حماية (مصر، تونس، المغرب) وأنماطها المختلفة (بريطانية، فرنسة، إيطالية...)، هذه الظاهرة الاستعمارية الكولونيالية، التي أدخلت بعلاقات القوة بأشكالها المتنوعة (عسكرية، إقتصادية، سياسية، ثقافية...) ما سمي لاحقاً عملية تحديث المجتمعات العربية، وفي سياق هذا الحديث ظهرت المؤسسات التعليمية والتربوية الحديثة ومنها طبعاً الجامعات (الجامعة المصرية، 1908، الجامعة الجزائرية، 1909) هذه الجامعات التي كانت في بدايتها وأثناء المرحلة الكولونية بيد أساتذة في أغلبهم أوروبيين، إنتقلت بعد الإستقلال إلى بناء البلدان العربية، وفي ظل الحضور المؤثر للنظريات الاجتماعية الحديثة التي ظهرت بالغرب عموماً، كان من الطبيعي أن تتجه طلائع [3] المبعوثين للدراسة في مجال علم الإجتماع والعلوم الاجتماعية إلى الجامعات الغربية لتلقي الأسس المعرفية والمنهجية لتلك النظريات، ومن ثم نقل مناهجها وحقولها ومفاهيمها إلى الجامعات العربية لاحقاً [4] وفيما يتبدى تأثير النظريات الأنجلوساكسونية في المشرق، نلاحظ أن السوسيولجيا الفرنسية هي التي تسيطر على المغرب [5] لطبيعة الوجد الاستعماري الكولونيالي الخاص بالمشرق والمغرب، رغم أننا نعثر بالتأكيد على العديد من المرجعيات الفرنسية بالمشرق والأنجلوساكسونية بالمغرب، وإذا كان هذا التوزيع الأولي لمرحلة نشأة علم الإجتماع فإننا يمكن القول أنه منذ بداية الثمانينيات وخاصة التسعينات يجري العمل في حقل علم الإجتماع في العالم العربي على المستويات التالية:

1- علم إجتماع للعالم العربي:

ويعني به الدراسات والأبحاث التي تحاول أن تربط الظواهر الإجتماعية في مختلف أنحاء العالم العربي وأن تجد تفسيراً ذا مرجعية إجتماعية مشتركة أو متشابهة مثل أعمال : هشام شرابي [مقدمات لدراسة المجتمع العربي. النقد الحضاري للمجتمع العربي. البنية البطريكية بحث في المجتمع المعاصر] وحليم بركات [المجتمع العربي المعاصر بحث إستطلاعي جماعي] وعبد الله العروي [الأيديولوجيا العربية المعاصرة] وهشام جعيط [الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي] وقد أخذنا هؤلاء المؤلفين كعينة فقط للأعمال العديد التي تحاول أن تطرح القضايا المجتمعية العربية بشكل عام وتحاول أن نجد منطلقات ومرجعيات إجتماعية . ثقافية موحدة لتفسير تلك القضايا على كامل العالم العربي.

2- علم إجتماع عربي (إقليمي):

مثل الأعمال التي تعرض لأقاليم محددة من العالم العربي، مثل محمد عبد القادر الهرماسي [المجتمع والدولة في المغرب العربي] ومحمد نجيب بوطالب [سوسيولوجيا القبلية بالمغرب] ومحمد الرميحي [مدخل لدراسة الواقع والتغير الاجتماعي في مجتمعات الخليج العربي] وأحمد زايد [فرضيات دراسة التغير في مجتمعات الخليج العربي] وخلدون حسن النقيب [المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية من منظور مختلف]، هذه الدراسات وأمثالها كثيرة تنطلق من وجود عناصر إقليمية مشتركة لتفسير الظواهر المجتمعية موضوع البحث.

علم إجتماع عربي ــ قطري:

ويخص الدراسات السوسيولوجية الخاصة بكل قطر أو دولة وينطلق من أن الظاهرة الإجتماعية تقع أسباب وجودها وتفسيرها كذلك في المجتمع "الدولة القطرية" وعلى هذا المستوى لا يمكن حصر عدد البحوث والدراسات التي أنجزت، تلك البحوث التي تقوم بها الجامعات أو مراكز البحث المختلفة على كامل العالم العربي.

أنساق ونماذج المعرفة السوسيولوجية في العالم العربي:

لا يمكن أن نفهم الأنساق والنماذج المعرفة السوسيولوجية في العالم العربي إلا بالعودة إلى ظروف التاريخية والمعرفية لنشأة علم الإجتماع ذاته بالبلدان العربية

وعلاقة الحقل السوسيولوجي والاجتماعية الحديثة والمعاصرة بأوربا والغرب عموماً، إذ نجد أن جذور أغلب النماذج المعرفية تكمن في نماذج معرفية غربية بالأساس، رغم الدعوات والمحاولات الجادة أحياناً والمنفعلة عموماً من مختلف الإتجاهات (وظيفية، ماركسية، نقدية...) لتجاوز ذلك الإشكال وتحاول توطين المفاهيم والنظريات السوسيولوجية الغربية بالعالم العربي، أو إنتاج سوسيولوجيا عربية تنطلق من الخلدونية كأساس محلي وتحاول الإجتهاد لإنتاج مفاهيم عن الواقع المجتمعي العربي الحديث والمعاصر إلا أنه لم يتم تحقيق ذلك إلى حد الآن إذ ما زالت السوسيولوجية في العالم العربي تتغذى و"تتجدد" من خلال إنتاجات المعرفة السوسيولوجية الغربية، ورغم أننا نلاحظ أحياناً أن هناك أعمال وأبحاث علمية ونظرية سوسيولوجية من طرف باحثين وعلماء إجتماع عرب ترقى إلى مستوى النظرية الغربية بدون أي عقدة نقص، إلا أنها للأسف لا تجد إستمرارية لها في إطار سياق مدرسة شاملة، وهذا يعود بطبيعة الحال إلى حالة المعرفة والبحث العلمي ككل في المجتمعات العربية علاقته بمؤسسات المجتمع والدولة.

ورغم أنه من الصعب أن نقوم بسرد كل الاتجاهات والنماذج الفكرية لأنه وكما أشار إلى ذلك بعض الباحثين الذين تناولوا الموضوع لعدم وجود حصر شامل لمختلف الدراسات والأبحاث السوسيولوجية العديدة والمتنوعة والتي تتوسع يوما بعد آخر خاصة إذ أضفنا التأليف والأبحاث المنشورة المئات من رسائل الماجستير والدكتوراه التي تنجز سنوياً في الجامعات العربية من المحيط إلى الخليج.

إذا رغم هذا نحاول أن نقدم بعض النماذج والأنساق الفكرية المتداولة في الحقل السوسيولوجي العربي.

1- الوظيفة والوظيفة البنائية:

وقد أنتشر هذا النموذج للتحليل في علم الاجتماع العربي من خلال الرواد الأوائل الذين درسوا بالجامعات الغربية، ويلاحظ بأن النموذج الوظيفي بتنوعاته المختلفة أحتل القسط الأكبر من مناهج التدريس بالجامعات وخاصة المصرية من خلال [الكتب الجامعية والمطبوعات....].

وكذلك مجالات البحوث المنجزة من طرف بعض الباحثين ومراكز البحث.

أنظر مثلاً أعمال عالي عبد الواحد وافي، وحسن شحاتة سعفان، وحسن الساعاتي..

2- الاتجاه الماركسي:

لا شك أن هذا الاتجاه الذي بدأ في الإنتشار والدخول إلى الجامعات العربية مع بداية الستينات قد ترافق مع نهوض حركة التحرر العربي وصراعها مع الاستعمار والامبريالية وتحقيق الاستقلال، الذي طرح مسألة طرق التنمية الشاملة للمجتمعات العربية، وما هي الطبقيات أو الفئات الاجتماعية التي تقود عملية التنمية وتلك التي تستفيد منها، كل ذلك في ضوء إنقسام الصراع الايديولوجي على المستوى العالمي بين التيار المراكسي بمختلف إتجاهاته والتيار الليبرالي، وقد أنعكس ذلك على علماء الإجتماع العرب الذين تبني البعض منهم الإتجاه الماركسي في التحليل وإستخدام مفاهيمه بنجاحات متباينة وبإجتهادات متنوعة ويمكن أن نذكر على سبيل المثال : أعمال (أنور عبد المالك، الطاهر لبيب، حيدر إبراهيم علي..) وعموماً فإن الاتجاه الماركسي الذي أصبح في الستينات والسبعينات حاضراً بقوة في الجامعات العربية وفي الحقل الثقافي والسياسي العربي، تعرض منذ سقوط المنظومة الإشتراكية إلى تراجع بحيث أصبح اليوم يكاد يختفي من خطابات السوسيولوجيين العرب سواء في برنامج التدريس أو كمنهج للأبحاث، وهذا في الواقع يشير إلى مسألة التبني المجتمعي (مجتمع الباحثين) للمعرفة العملية وشروط نشاطها وتجديدها، والتي تتمتع بنوع من الاستقلالية النسبية عن البنية السياسية فرغم أن المنهج الماركسي ما زال متواجد بالجامعات الغربية إلا أنه يكاد ينعدم نهائياً بالجامعات العربية.

3- الاتجاه النقدي:

وهذا الاتجاه هو أيضاً إمتداد للإتجاه النقدي في النظرية الاجتماعية الغربية من خلال مدرسة "فرانكفورت" بأقطابها الأساسيين [ماكس هوركايمر - تيودوراقون أدرنو، ويورجن هابرهاس، هربرت ماركيوز...]، وهو إتجاه يحاول أن يخرج من كلاسيكيات الوظيفة وإيديولوجية الماركسية واللتين كانتا لهما الحضور الطاغي في حقل الانتاج المعرفي للأدبيات الإجتماعية على العموم ويحاول هذا الإتجاه أن يؤسس قراءة سوسيولوجية جديدة في العالم العربي، ويمثل هذا الإتجاه مجموعة من الباحثين منهم (عبد الباسط عبد المعطي، عبد الفتاح الزين، خلدون حسن النقيب، عبد الرحمان بوزيدة....)

4- الاتجاه الإسلامي:

أو ما يسمى أحياناً بعلم الاجتماع الإسلامي، أو المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع ويعتقد هذا التيار بأن علم الإجتماع الحديث والمعاصر الذي ظهر في الغرب يعتمد على أسس منهجية ومنطلقات نظرية (خصوص الموقف من الدين) ومفاهيم معرفية لا علاقة لها بالمجتمعات العربية والاسلامية وعليه فهو يحاول أن يقترح قراءة إجتماعية يقول عنها بأنها سوسيولوجية، تعتمد على مصطلحات مستمدة من الكتاب والسنة فهو مثلا يعوض مفهوم (الصراع الطبقي) الماركسي بمقولة التدافع، كما أن هذا الإتجاه يطمح إلى فعل " تأصيل علم الإجتماع، غير أن هذه المحاولات في الحقيقة لا تقدم أية نظرية سوسويولوجية "إسلامية" جديد ولا يرتقي إنتاج هذا الاتجاه حتى إلى مستوى تجديد الخلدونية بالمعنى المبدع وليس بالمعنى النقلي.

5- إتجاه المشروع الحضاري العربي:

ويتميز هذا الاتجاه بإنفتاح نقدي على الفكر الغربي على أساس وجود جانب مجتمعي . إنساني يمكن التفاعل معه دون إغتراب أو تبعية، وقد حاول هذا الإتجاه إستخدام الأدوات المنهجية والنظريات الاجتماعية الغربية وخاصة السياسة منها لبناء أسس الدولة الوطنية في إطار القومية العربية ونلاحظ وجود عنصرين يشكلان أساس هذا الاتجاه.

الاعتماد على النظرية السوسيولوجية الغربية بجميع إتجاهاتها لتحليل البناء التاريخي للمجتمع العربي من أجل فهم التكوينات الإجتماعية وأشكال الإنتاج والوعي المرتبط بخصائص ذلك التكوين التاريخي.

محاولة إستقراء خصوصية ذلك التكوين ويمكن تتبع أثر هذا الاتجاه في كتابات متعددة *.

6- إتجاه علم إجتماع محلي:

في العالم العربي أو المجتمعات العربية ويتشكل هذا الاتجاه من إتجاهات نظرية وإمبريقية مختلفة وتركزت دراسات هذا الاتجاه على الأعمال والأبحاث التي تجري ضمن تخصصات متعددة على ظواهر وأنساق مجتمعية قطاعية داخل المجتمعات العربية، وهذه الأبحاث والدراسات تتماشى مع الإتجاه التعددي في علم الإجتماع المعاصر، أو كما يسمى بالمكروسوسيولوجيا.

7- إتجاه علم إجتماع العولمة:

وقد بدأ هذا الإتجاه مع إنفجار النقاش على المستوى العالمي حول العولمة وآلياتها وإنعكاستها المتعددة على مجتمعات الدولة الوطنية والثقافات المحلية وخاصة منذ التسعينات من القرن الماضي، وقد عقدت عدة ندوات وملتقيات حول مسألة العولمة وآثارها على العالم العربي، ويحاول علماء الإجتماع العرب الذين يشتغلون على هذا الإتجاه فهم المكانة التي هي عليها المجتمعات العربية والرهانات المستقبلية التي تواجهها ضمن سيرورة العولمة".

المواضيع التي يتم تغطيتها من طرف السوسيولويجا في العالم العربي:

من الطبيعي أن تكون هناك عدة قراءات* وتصنيفات للمواضيع التي تناولتها المعرفة الاجتماعية عموماً والسوسيولوجيا خصوصاً، في العالم العربي ومما لاشك فيه أن عملية التصنيف وتبويب وتعيين وتحديد مصطلحات دقيقة للمواضيع التي هي في حد ذاتها جزء من الممارسة السوسيولوجية لأن مجالات إهتمام الباحثين الاجتماعيين العرب تنتقل من مواضيع لأخرى تبعاً للسيرورة الإجتماعية . السياسية التي تتحكم في حقل النشاط المعرفي [الجامعة والبحث العلمي] غير أننا سنعمد في هذا الجانب إلى تقديم مخطط قد لا يكون دقيقاً وصارماً ولكنه يطمح إلى أن يكون شاملاً ولذلك نقترح مجالات عامة وكل مجال يتضمن مواضيع مختلفة.

1- سوسيولوجيا العمل:

وتناول مواضيع التصنيع، اليد العاملة، النزاعات العمالية التنظيمات النقابية، التنظيمات الرسمية، وغير الرسمية، الظاهرة البيروقراطية، التسيير، الموارد البشرية....

2- سوسيولوجيا الثقافة:

وتتضمن الممارسات الثقافية الرموز القيم والمعتقدات، الأشكال الفنية والأدبية (رواية، مسرح، سنما، غناء...) المجال اللغوي، الثقافة الجماهيرية، المثقفين....

3- سوسيولوجيا التربية:

ويغطي هذا المجال، المؤسسات التعليمية (المدارس، الثانويات، الجامعات) البرنامج التعليمية، مسالة التمدرس، هيئة التدريس، التنشئة الإجتماعية، التسرب المدرسي....

4- سوسيولوجيا حقل الأسرة:

ويشمل مواضيع الزواج، والطلاق والأنماط الأسرية (العائلة المركبة، العائلة النووية) المشكلات المجتمعية للمرأة، إشكالات الجنس....

5- سوسيولوجيا المجال السياسي:

ويشمل قضية طبيعة الدولة في المجتمع العربي، أنماط الحكم، المؤسسات السياسية الأحزاب السياسية، النخب السياسية، الفكر والايديولوجيا السياسية، مسألة الديمقراطية، الإنتخابات، النخب، العنف السياسي، المجتمع المدني...

6- سوسيولوجيا الحقل الديني:

وتتناول مواضيع هذا الحقل قضايا النص الديني والممارسة الإجتماعية، (الإختلاط، الحجاب مثلاً) الجماعات الدينية، ظاهرة الحركات الدينية، التعددية الدينية، العنف السياسي . الديني، الإرهاب، المؤسسات الدينية (الزوايا، الطرقية، الكنائس....الخ).

7- سوسيولوجيا حقل الإتصال والإعلام:

ويشمل هذا المجال المواضيع التالية: وسائل الإعلام (الصحافة، راديو، تلفزيون، أنترنت...) وتأثيراتها على المجتمع، العلاقة بين الإعلام والمؤسسات المجتمعية الأخرى وتحليل مضمون الخطابات الإعلامية، وأشكال الإتصال والتواصل مع الفئات الإجتماعية، العلاقة بين مؤسسات الإتصال والإعلام والدولة والمؤسسات الخاصة.

8- سوسيولوجيا المجال الريفي:

ويتعرض عموماً إلى التنظيم الإجتماعي في الأرياف والبوادي، أشكال وأنماط العمل الزراعي خصائص الفئات الإجتماعية الريفية، فلاحين، عمال زراعيين، العلاقة بين الريف والمدينة ظاهرة تمدين الأرياف والبوادي العربية والمتمثلة في التغيرات الإجتماعية القادمة من المدن.

9- سوسيولوجيا المجال الحضري:

ويتناول المدن العربية وإشكاليات التحضر، العلاقات الإجتماعية للمجال الجواري، الأنماط السكنية والعمرانية، المؤسسات المدنية، ظاهرة ترييف المدن، الأحياء القصديرية...

10- سوسيولوجيا المعرفة:

ويتعرض للعلاقة بين الأطر المعرفية والأطر الإجتماعية، مسائل البحث العلمي، الوظائف الإجتماعية للبحث العلمي، علم إجتماع الباحثين.

11- الدراسات الأنتربولوجية ـ الاجتماعية:

وتناول البنيات القبلية في المجتمعات العربية، الدهنيات والسلوكيات القبلية والعشائرية أنماط البداوة، الممارسات الإجتماعية الثقافية التقليدية، الأساطير والطقوس، المقاربات الأنتربولوجية للمجالات الإجتماعية المعاصرة.

12- الدراسات السوسيولوجية حول الهجرة:

وتناول الأسباب السوسيولوجية للهجرة، أنماط الهجرة، إشكالات الهجرة في زمن العولمة.

مناهج البحث:

مما لا شك فيه أن برامج ومناهج التكوين بالجامعات العربية في ميدان السوسيولوجيا والمعرفة الإجتماعية تعمل على إعطاء الطلبة الأسس المعرفية والمنهجية للإقتراب العلمي من مواضيع البحث المختارة لاحقا، كما أنها تحاول أن تراقب التكوين من خلال إعداد الطلبة لأبحاث وأعمال أولية تدريبية تتجسد أساساً في مذكرات ورسائل التخرج التي تتناول مواضيع ميدانية أو إمبريقية تحت إشراف الأساتذة، وبالعودة إلى الكتب والمطبوعات المنهجية نجد أن هناك تشوش واضح في تحديد مسألة المناهج أو المنهجيات المستخدمة في الأبحاث السوسيولوجية، الإجتماعية وخاصة التاريخ، والإقتصاد كما نعثر أحياناً على نوع من الخلط إذ أن البعض يضيف لها كل مناهج المستخدمة في العلوم بين المناهج والتقنيات التي يمكن إستخدامها في مناهج مختلفة، وعموما يمكن القول أن المقاربات المنهجية في السوسيولوجية تتوزع على الخريطة التالية:

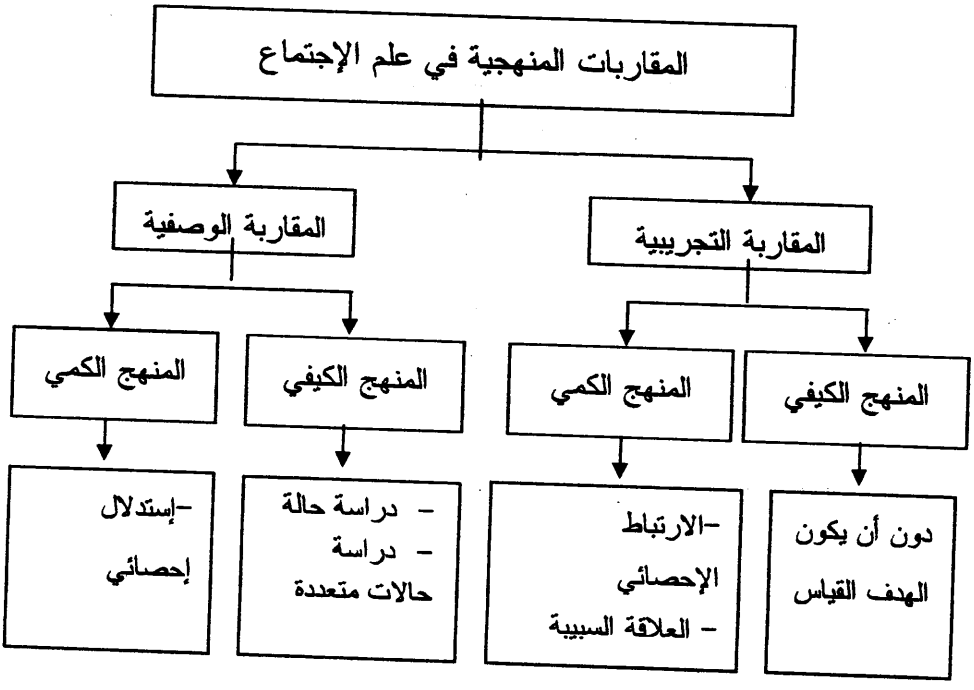

وعليه فنحن نجد المناهج التالية:

- **المنهج التجريبي:** الذي يهدف إلى إقامة لعلاقات التي تربط السبب بالنتيجة بين الظواهر والمتغيرات.
- **المنهج الوصفي:** الذي يقوم بوصف ما هو كائن وتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة والتعرف على المعتقدات والإتجاهات عند كل من الأفراد والجماعات بجمع البيانات وتبويبها وتفسيرها.
- **المنهج الكمي:** الذي يهدف إلى قياس الظاهرة موضوع الدراسة بإستعمال المؤشرات، النسب، المتوسطات أو الأدوات التي يوفرها الإحصاء بصفة عامة.
- **المنهج الكيفي:** الذي يهدف في الأساس إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة، وعليه ينصب الإهتمام هنا أكثر على حصر معنى الأقوال التي يتم جمعها أو السلوكات التي تتم ملاحظتها.

وتستخدم عدة تقنيات منها:

- **تقنية تحليل المحتوى:** ونجد تعدد كبير في شكل المحتوى يبدأ بالوثيقة التاريخية حتى إلى الفيلم السينمائي مروراً بالنص الروائي ومقالات الصحافة....
- تقنية إستمارة الإستبيان، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع.
- إستمارة الاستبيان المغلق أو المقيدة.
- إستمارة الاستبيان المفتوح وفي بعض الأحيان تسمى بالمقابلة.
- إستمارة الإستبيان المفيد المفتوح.
- الملاحظة بالمشاركة
- الملاحظة بدون المشاركة

كما يتم تدريب الطلبة على كيفية.

- تحديد مجتمع البحث.
- معايير إختيار مشكلة البحث.
- صياغة مشكلات البحث.
- تحديد مصطلحات ومفاهيم البحث الأساسية والإجرائية.
- ضوابط صياغة الفروض.
- مصادر جمع المعلومات.

إختيار العينة: والنوع الملائم للبحث إذ نجد أنواع مختلفة منها (العينة العشوائية البسيطة، العينة العشوائية الطبقية...)

ويمكن إستخدام أكثر من تقنية من طرف منهج واحد لإجراء البحث الميداني، وذلك حسب ما يخدم التغطية الضرورية واللازمة للعمل العلمي.

النظريات السوسيولوجية المتعددة المتناولة في المناهج الجامعية:

مدخل يتناول:

1- الفكر الاجتماعي في الحضارات المختلفة وخاصة:

- الفكر الاجتماعي في حضارة ما بين الرافدين.
- الفكر الاجتماعي في الحضارة الفرعونية
- الفكر الاجتماعي في الحضارة الصينية: الكونفوشيوسية.

- الفكر الاجتماعي في الحضارة اليونانية: أفلاطون، أرسطو.
- الفكر الاجتماعي في الحضارة الإسلامية: الفارابي، ابن سيناء.

2- **الفكر الاجتماعي في عصر التنوير الأوروبي:** جان جاك روسو، كوندرسيه ديدرو...

3- **نشأة علم الإجتماع الحديث: مرحلة الرواد: القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين:**

- الظروف التاريخية (الجوانب الإقتصادية، الإجتماعية، السياسية....) والمعرفية: إكتشافات العلوم الطبيعية (الفيزياء، البيولوجيا...) التي أطرت نشأ علم الإجتماع معني النظرية العلمية.
- موضوع ومنهجية علم الإجتماع.
- عبد الرحمان بن خلدون: يصنف ضمن مجموعة الرواد المؤسسين لعلم الاجتماع أو علم العمران رغم أن البعض يضعه ضمن الفكر الاجتماعي في الحضارة العربية الإسلامية.
- أوجست كونت.
- كارل ماركس.
- إميل دوركايم.
- ماكس فبير.
- علاقة علم الاجتماع بالعلوم الاجتماعية الأخرى (التاريخ، الإقتصاد، الأنثربولوجيا ...)

النظريات السوسيولوجية الحديثة:

- الوظيفية البنائية.
- الماركسية أو المادية التاريخية.
- نظريات الفعل الإجتماعي.
- السوسيولوجية النقدية، مدرسة فرانكفورت وأقطابها.
- الخيال السوسيولوجي: رايت ميلز.
- نظرية التفاعلات الرمزية.
- نظرية التأمل السوسيولوجي.

- الفينومينولوجيا في علم الإجتماع.
- الاتجاهات الماركسية الجديدة: أنطونيو غرامشي لويس التوسير، موريس دوب...
- الأثنوميتودولوجيا أو منهجية النظام الإجتماعي

علم إجتماع المعرفة:

- جورج لوكاش.
- كارل منهايم.
- جورج جورفيتش.

علم إجتماع الحداثة: يوغن هابرماس، أنتوني جدنز...

- علم إجتماع التنمية: الاتجاهات المختلفة.
- الأنثروبولوجيا ومدارسها المختلفة:
- علم إجتماع العولمة.
- علم الإجتماع في العالم العربي.

هذه هي الخطوط العامة للنظريات السوسيولوجية العامة، يضاف إليها النظريات التي يقتصر مجال عملها على حقل معين من حقول الدراسات السوسيولوجية كالمجال الحضري أو المجال السياسي أو الثقافي، وعند ذلك نجد العديد من الباحثين والأعمال التي تتناول كل حقل أو مجال خاص.

والملاحظة الأساسية التي نستخرجها من هذا السرد السريع لما تقدمه الجامعات العربية في مجال النظرية السوسيولوجية أنها تعاني من ضعف وتأخر كبير فمن حيث الضعف تتميز أغلب الدروس المقدمة للطلبة من سطحية مخيفة في نقل وتدريس تلك النظريات وخاصة من الأجيال الجديدة من الأساتذة الذين يعتمدون على الهامش ولا يعدون إلى النصوص المؤسسة لتلك النظريات مما يؤدي إلى تحريف وتشويه المعنى الدقيق للمفاهيم والإشكالات المعرفية التي تطرحها أما من حيث التأخر فمازالت النظريات السوسيولوجية المعاصرة والتي ظهرت بالغرب في نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة والتي تقدم تفسيرات جديدة للمجتمعات الإنسانية في الوقت الراهن غائبة تماماً

على الجامعات العربية وكأن السوسيولوجية توقفت عند التفاعلية الرمزية والتنمية الإجتماعية لمرحلة الستينات من القرن الماضي.

القضايا والموضوعات التي نحتاج إلى تناولها مستقبلاً:

نحن نعيش في عالم يتميز بالاضطرابات والأخطار والأزمات الخطيرة المتزايدة ومن المؤكد أننا نستطيع أن نقول هذا عن أزمنة ومراحل أخرى أيضاً من ذلك مثلاً مرحلة الإستعمار، إلى أن الأمر مختلف الآن إذ أن ميزة ما يسمى مجتمع المخاطر العالمي الذي يستغل المجتمعات الأخرى والإنسانية كلها، والتي نحن في العالم العربي جزءا أساسياً منها وهناك أسباب عديدة، تكمن في أن الأزمات والمخاطر هي بالذات النتائج غير المقصودة المترتبة عن كل محاولاتنا من أجل كبح جماحها، ومن الممكن توضيح هذا من خلال مناقشات متنوعة مثل مناقشة الفجوة القائمة بين العلم والعمل أو الكارثة البيئية أو مسائل الجينات البشرية على أنه من الممكن إظهارها أيضاً من خلال حركات الناس، والبيانات والرموز الثقافية العابر لحدود الدولة الوطنية التي كانت حتى الآن تبدو متماسكة وغالباً ما نوقشت هذه التحولات الكبيرة ولقد رأى الكثيرون في إنهيار جدار برلين السلمي وسقوط الدولة السوفياتية بداية نهاية السياسة، فقد تصور المرء نفسه أنه وصل إلى عصر ما وراء الاشتراكية والرأسمالية والطوباويه والتحرير وظهرت الكلمة المرعبة التي لابد من منها في كل تصريح ألا وهي العولمة، لا تدل بالذات على نهاية السياسة وإنما تدل على خروج السياسة من الإطار النوعي للدولة الوطنية [6].

إن التغيرات السريعة والشاملة التي تميز مجتمعات اليوم لم تترك لعلم الاجتماع فرصة التأمل الرزين والهادئ لعوامل التغير وإنعكاساتها المجتمعية كما كان الحال سابقاً مع النظريات السوسيولوجية الكبرى التي عالجت مسألة التغير الإجتماعي وعوامله وعوائقه، كما أن التغيرات التي تميز عصرنا الحالي هي تغيرات على مستوى كوني عالمي أو عولمي، بمعنى أن التغيرات الاجتماعية التي كان علم الإجتماع يعالجها على مستوى مجتمعات محلية (المجتمعات العربية في هذه الحالة) أصبح من المستحيل فهم أسبابها بالبقاء فقط على مستوى تلك المجتمعات وفي هذا الإطار أصبحت مواضيع علم الإجتماع القائمة على مسلمة فهم الظواهر الاجتماعية بالبحث عن أسبابها في مجتمع (الدولة. الأمة) الذي قامت وظهرت فيه قاصرة بنيويا على فهم أهم

الظواهر التي تتم أمام أعيننا، كحالة التفكك في العالم العربي، إحتلال العراق، إستمرار مأساة الشعب الفلسطيني.... وذلك بسبب التناقض الصريح اليوم بين الحدود الجيوسياسية والحدود الابستمولوجية، ومن هنا فعلى الإجتماعين والسوسيولوجيين العرب أن ينتقلوا إلى نوع من الدراسات تحاول أن تتجاوز إشكالية أو صعوبة فهم ومعالجة التغيرات السريعة، إذ لم تعد السيرورة الإجتماعية متروكة لحتميتها التاريخية ولكن بفعل التحكم والتوجيه وتلك الدراسات هي الدراسات المستقبلية والإستراتيجية إذ أصبح هناك بدون أدنى شك عوامل وعناصر للتقاطع بين الدراسات المستقبلية والإستراتيجية وبين النظرية السوسيولوجية [7]، وإنطلاقاً من هنا نقترح مجموعة من المواضيع التي نرى أن من اللازم على المهتمين بالمعرفة الاجتماعية والسوسيولوجية في العالم العربية أن يعالجونها بمنهجية علم المستقبليات والإستراتجية*.

ومن القضايا والمسائل التي نرى من اللازم تغطيتها هي:

1- قضية طبيعة الدولة في المجتمعات العربية:

ويجب أن تتركز الدراسات والأبحاث في هذا المجال عن كيفية تشكيل شرعية جديدة للعلاقة بين الدولة والمجتمع وإنتقال السكان من رعايا إلى مواطنين واعين بمسؤوليتهم المدنية وبالتالي الإنتقال من الدولة الأمنية إلى الدولة الآمنة [8].

القضية الإجتماعية:

وتتعلق بدراسة إنعكاسات السيرورة الإقتصادية الليبرالية الجديدة على الفئات الإجتماعية والمتمثلة أساساً بزيادة الفقر وإنقسام المجتمع إنقساماً حداً بين أقلية ذات غنا فاحش وأغلبية ذات مستوى إجتماعي متدني مما يدفع بإتجاه إنتشار وتوسع مظاهر العنف الإجتماعي بمختلف أشكاله والتهديدات الجدية، المرافقة له.

2- القضية الثقافية:

وهذه المسألة ناتجة عن التحولات السريعة فعلى البحث الاجتماعي أن يعالج الانعكاس الاجتماعي . الثقافي لمسألة الهوية العربية . الإسلامية، والموقف من التراث فهل هو عامل قوة، أو عامل ضعف في عملية التحديث الإجتماعي للمجتمعات العربية؟ وكيفية التفاعل مع المجتمعات والثقافات الأخرى.

3- القضية الدينية:

لا شك أن إحدى التحديات الكبرى للبحث الإجتماعي هي المواقف من المسألة الدينية وتفاعلاتها وسيرورتها في عصر العولمة فمن الواجب أن يتجه البحث السوسيولوجي إلى دراسة هذه المسألة بكل شجاعة ورزانة علمية نظراً لإرتباط هذه المعضلة أو القضية بمجمل القضايا المجتمعية الأخرى في العالم العربي وأن يقوم بمراجعة نقدية إذ نقد الدين أساس كل نقد إجتماعي.

4- القضية العلمية:

وتشمل بالأساس المواقف من المعرفة العلمية والتكنولوجية فهل ستبقى المجتمعات العربية في مرحلة الإستراد التكنولوجي للمعرفة العلمية أم ستتحول إلى الإستثمار في البحث العلمي بالمستويات العالمية ويصبح البحث جزءا أساسياً في عملية التنمية الاجتماعية الإقتصادية [9].

5- دراسة مسألة البوادر المتعددة والمختلفة والمتنوعة للتفكيك الإجتماعي في المجتمعات العربية (تعدديات إثنية، مذهبية، إيديولوجية) وإستشراف الفعاليات المجتمعية القادر على تجاوز هذا التفكك وتقوية وتوحيد الفعل الاجتماعي المستقبلي للإنتقال من مرحلة إستشعار المخاطر التي تهدد المجتمعات العربية إلى مرحلة تحديد إقتراح الإستراتيجيات الممكنة لتجاوزها، وعليه فإن المهمة الأساسية للدراسات المستقبلية يتعلق بتسليط الأضواء على الإختيارات الممكنة قصد مساعدة صناعي القرارات للتوجه نحو الأهداف الطويلة المدى مع إطلاعهم على التدابير الواجب إتخاذها في الحين للوصول إلى الأهداف المرجوة.

6- القضية الديمغرافية:

وتتضمن بالأساس دراسة المعطيات السكانية وكيفية الإستثمار المستقبلي في الثروة البشرية بإعتبارها الثورة الحقيقية الدائمة للمجتمعات خاصة عندما نعرف أن الشباب يشكل أغلب سكان المجتمعات العربية.

قائمة المراجع:

قائمة الكتب باللغة العربية:

1. أبو بكر أحمد عبد القادر عرابي: آفاق علم اجتماع عربي معاصر، دار الفكر، دمشق، 2006.
2. عبد الباسط عبد المعطى، إتجاهات نظرية في علم الإجتماع، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1981.
3. عبد الصمد الديالمي، القضية السوسيولوجية، نموذج الوطن العربي، إفريقيا للنشر، 1989.
4. عبد الكبير الخطيبي، عبد الفتاح الزين، العلوم الإنسانية والإجتماعية بالمغرب أطروحات ومقاربات، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1998.
5. علي الكنز: المسألة النظرية والسياسة لعلم الإجتماع العربي في نحو علم إجتماع عربي، علم الإجتماع المشكلات العربية الراهنة، مركز دراسات الوحدة العربية، 1986.
6. فتحي أبو العينين: علم الإجتماع في الأقطار العربية الخليجية، وضعه دوره في فهم الواقع المتغير، مجلة، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1993.
7. محمد الجوهري وآخرون، القوى لعلم الإجتماع، العدد الخامس، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1983.
8. محمد عزت حجازي وآخرون، عن علم إجتماع، علم إجتماع والمشكلات العربية الراهنة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1986.
9. نبيل السمالوطي: أزمة علم الإجتماع في العالم العربي، دار المعرفة الجامعية.

الأطروحات:

- رميتة أحمد: التغير الإجتماعي ومحاولات تجديد علم الإجتماع، دراسة تحليلية لدلالة الفكر الإستراتيجي والنظريات الحداثية الأخرى، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2007.

المجالات:

- حسين عبد اللاوي: مصنف أطروحات الدراسات العليا في معهد علم الإجتماع، جامعة الجزائر، 1999.
- مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 144، 1991.
- مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 146، 1991.
- **NAQD,** Revue d'études et de critique sociale, N° 29, Numéro spéciale « Le défi démocratique », Alger, 2011.

الهوامش :

[1] عبد الباسط عبد المعطى، إتجاهات نظرية في علم الإجتماع، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1981، ص 254.

[2] عبد الصمد الديالمي، القضية السوسيولوجية، نموذج الوطن العربي، إفريقيا للنشر، 1989، ص 06.

[3] فتحي أبو العينين: علم الإجتماع في الأقطار العربية الخليجية، وضعه دوره في فهم الواقع المتغير، مجلة، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1993، ص 109.

[4] أنظر على سبيل المثال:
- محمد الجوهري وآخرون، القوى لعلم الإجتماع، العدد الخامس، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1983.
- محمد عزت حجازي وآخرون، عن علم إجتماع، علم إجتماع والمشكلات العربية الراهنة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1986.
- مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 144، 1991.
- مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 146، 1991.
- نبيل السمالوطي: أزمة علم الإجتماع في العالم العربي، دار المعرفة الجامعية.

[5] علي الكنز: المسألة النظرية والسياسة لعلم الإجتماع العربي في نحو علم إجتماع عربي، علم الإجتماع المشكلات العربية الراهنة، مركز دراسات الوحدة العربية، 1986، ص 99.

• يمكن إعتبار ما يقوم به مركز دراسات الوحدة العربية نموذجا معبرا عن هذا الإتجاه فإلى جانب الإصدارات الفردية لعلماء الإجتماع العرب، يقود بعقد ندوات ملتقيات بحثية تناقش في كل مرة محورا محددا يتعلق بالقضايا المجتمعية العربية مثل:
- أزمة الديمقراطية في الوطن العربي.
- التنمية العربية الواقع الراهن والمستقبل.
- مستقبل الأمة العربية التحديات والخيارات.
- المجتمع المدني في العالم العربي.

- العرب والعولمة...
- الشباب العربي ورؤى المستقبل.

• أنظر مثلا: عبد الكبير الخطيبي، عبد الفتاح الزين، العلوم الإنسانية والإجتماعية بالمغرب أطروحات ومقاربات، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1998.

• حسين عبد اللاوي: مصنف أطروحات الدراسات العليا في معهد علم الإجتماع، جامعة الجزائر، 1999.

[6] أنظر رميتة أحمد: التغير الإجتماعي ومحاولات تجديد علم الإجتماع، دراسة تحليلية لدلالة الفكر الإستراتيجي والنظريات الحداثية الأخرى، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2007، ص 426.

[7] نفس المرجع، ص 455.

• من المؤسف أن هناك نوع من التبسيط والتسطيح في مجتمع المعرفة والبحث في العالم العربي لأشكال وطرق المعرفة العلمية، إذ نلاحظ ومنذ التسعينات إنفجار مفاجئ لما يسمى الخبراء الاستراتجيين ومراكز البحث الإستراتيجي لا تتجاوز في مجملها التغطيات الإعلامية والصحفية للأحداث وبذلك تبقى بعيدة عن المعنى الحقيقي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية كما تمارس مراكز البحث والجامعات الغربية، إذ تتطلب هذه الأخيرة خبراء وأكاديميين على مستوى عال جدا وكفاءات متنوعة (سوسيولوجيين، اقتصاديين، أنثروبولوجيين، مؤرخين، ديمغرافيين، مهندسين في المعلوماتية...) وكل هؤلاء يعملون في فرق بحث مشتركة للوصول إلى وضع سيناريوهات مستقبلية أو إستراتيجية، وليس كما يلاحظ في العالم العربي حيث يطل علينا يوما من القنوات الفضائية هؤلاء الخبراء إذ أصبحت كلمة خبير استراتيجي وكأنها تغطي كل التخصصات.

[8] NAQD, Revue d'études et de critique sociale, N° 29, Numéro spéciale « Le défi démocratique », Alger, 2011.

[9] أنظر أبو بكر أحمد عبد القادر عرابي: آفاق علم اجتماع عربي معاصر، دار الفكر، دمشق، 2006.